ربيع ثورة

مجلة أسبوعية تصدر من جنوب دمشق المحاصر -العدد التاسع عشر

نشرة إخبارية

انفجار عبوة ناسفة على حاجز للجيش الحر في ببيلا وتنظيم الدولة يعدم أحد الناشطين المدنيين في مخيم اليرموك

- استشهد يوم الإثنين مدنيٌّ من سكان مخيم اليرموك وأصيب اثنين من الجيش الحر بانفجار عبوَّة ناسفة استهدفت حاجز الجيش الحر الذي يسبق حاجز ببيلا-سيدي مقداد.

- أعدم تنظيم الدولة يوم الأحد رمياً بالرصاص الناشط المدني "إياد أيوب" من أبناء مخيم اليرموك بتهمة العمالة لنظام الأسد، وكان أيوب قد اعتقل من قبل تنظيم الدولة إثر عودته من بلدة يلدا إلى المخيم بعد تطمينات من جبهة النصرة بعدم المساس به باعتباره أحد الرافضين لوجود تنظيم الدولة في المخيم.

- ألقى الطيران المروحي يوم الأربعاء عدداً من البراميل المتفجرة على مدينة داريا، وتركز القصف على المنطقة الجنوبية الغربية للمدينة محور "الجمعيات"، حيث وصل عدد البراميل إلى أربعين برميلاً متفجراً في الأيام الثلاثة الماضية.

- لليوم الخامس عشر على التوالي تستمرُّ قوات الأسد بتضييق الخناق على كلٍّ من مدينتي الهامة وقدسيا، حيث تفرض الحواجز المحيطة بكلا المدينتين حصاراً كاملاً، وتمنع دخول وخروج المدنيين تحت أيِّ سببٍ من الأسباب، فيما توقفت المخابز الاحتياطية عن العمل بشكل كامل وذلك بسبب عدم السماح بإدخال مادة الطحين.

- قصفت قوات الأسد يوم الثلاثاء مدينة الزبداني من كافَّة الحواجز المحيطة بقذائف الهاون وصواريخ الأض أرض، فيما تستمر محاولات التسلل من قبل ميليشيا حزب الله اللبناني وقوات الأسد من جهة الجمعيات و حاجز الحكمة و قلعة الزهراء، حيث يتمُّ التصدي لهم من قبل الثُّوار في المدينة.

- تصدّت المضادات الأرضية التابعة لجيش الفتح يوم الإثنين في مدينة أريحا لطائرةٍ حربية تابعة لقوات الأسد، وسقطت الطائرة في سوق شعبي وسط المدينة، ما أدى إلى ارتقاء ثلاثين شهيداً وإصابة العشرات من المدنيين، إضافةً إلى دمارٍ هائلٍ في الأبنية السكنية.

فن الواقع

الاستئثار بالسلطة .. مرض ما بعد التحرير

أمراضٌ اجتماعيةٌ كثيرةٌ انتشرت بعد تحرير مساحاتٍ واسعةٍ من سوريا، وفي الوقت الذي يصعب إحصاءها بدقَّةٍ، فإنَّه من الممكن رسم خطوطٍ حمراء حول بعض الأمراض التي تُذكِّرنا بالنِّظام السياسيِّ قبل التَّحرير، وكأنَّما تحرير هذه البلاد لم يكن لحظة نصرٍ وتغيير، بل امتدادٌ لمنظومة القهر السياسيَّة السابقة مع بعض التَّعديلات الشكليَّة.

وأخطر الأمراض السَّارية في المناطق الخارجة عن سيطرة النِّظام هو مرض الإقصاء والاستئثار بالسُّلطة، وحبُّ التَّفرُّد والسعي للقبض على كلِّ أسباب القوَّة في البلاد.

إذ أكَّد الواقع أنَّه ليس بالضرورة أن تكون قوى الفتح هي نفسها قوى تحرير، بل قد يكون التَّحرير فاتحة للصراع على السُّلطة بين الفصائل، كما حدث حينما بدأ تنظيم الدَّولة حملته الواسعة "بتحرير المحرَّر" من المناطق التي كانت تحت سلطة الجيش الحر والفصائل الإسلاميَّة، حيث أدى التَّعامل غير الحازم مع التَّنظيم إلى سقوط مساحاتٍ جغرافيةٍ كبيرةٍ في يده.

وتجربة تنظيم الدولة تكرِّرها فصائل أخرى للأسف، وتستنسخها من ناحية المضمون مع فروقاتٍ في الشكل فقط، حيث تحكم المناطق المحرَّرة بسلطة السِّلاح، وبجبروت القوَّة المفضي إلى إنجاب ديكتاتورياتٍ جديدةٍ بعيداً عن أهداف الثورة السورية في الحريَّة والكرامة والعدالة الاجتماعيَّة.

حيث تعمل بادئ الأمر على تقويض دور بقية الفصائل، وإضعاف المحاكم الشرعيَّة المتوَافَقِ عليها، على اعتبار أنَّها " الطائفة المنصورة " وأنَّها تمتلك الحقَّ والحقيقة وحدها، ومن ثمَّ تتحكَّم بكلِّ المؤسسات المدنيِّة المتواجدة، إمَّا بالرقابة الشديدة التسلُّطية والتي قد تؤدي إلى انهيار المؤسسات بسبب التضييق، أو من خلال إنشاء مؤسسات بمختلف المجالات تتبع لها.

وهكذا مع الوقت يعاد إنتاج نظامٍ عسكريٍّ شموليٍّ شبيهٍ بنظام البعث، يصعب مواجهته بنيَّة الإصلاح في هذه الفترة الحسَّاسة، ما يضطرُّ كثيراً من النَّاس إلى التفكير بالهجرة خارج البلاد باعتبار أنَّ حلم الحريَّة بات مستحيلاً أكثر من السابق.

وكما أنَّه ليس بالضرورة أن يكون هناك لحظةٌ لإعلان النصر، فإنه ليس من الضرورة أن تكون هناك لحظةٌ لإعلان الهزيمة، فالهزيمة تتمثَّل حقيقةً بإعادة إنتاج نظامٍ ديكتاتوريٍّ شبيهٍ بالنِّظام السَّابق وبالابتعاد عن مبادئ وأهداف الثورة، وهذا ما نعيشه على أرض الواقع بكلِّ صراحة.

هذا ديننا

إنما المؤمنون إخوة

إنَّ الأخوَّة من أروع القيم الإنسانية التي أرساها الإسلام للمحافظة على كيان المجتمع، وهي التي تجعل المجتمع وحدةً متماسكة، وتعني: أن يعيش الناس في المجتمع متحابِّينَ، مترابطين، متناصرين، يجمعهم شعور أبناء الأسرة الواحدة، التي يُحِبُّ بعضها بعضًا، ويشدُّ بعضها أزر بعضٍ، يحسُّ كلٌّ منها أن قوَّةَ أخيه قوَّةٌ له، وأن ضعفَه ضعفٌ له، وأنه قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه.

والأمة لن يكون لها أصالةٌ ومناعةٌ وترابطٌ وتراحمٌ وتلاحمٌ إلَّا إذا انضوت تحت الأخوَّة الإسلاميَّة، تلك الرابطة الإيمانيَّة التي ألغت روابط النسب والجنس والعرق والوطن وربطت بين مؤمني هذه الأمة.

ليس هذا فحسب، بل ربطت بين مؤمني الأمة وحملة العرش من ملائكة الرحمن، كما قال الله تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبِّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم} [غافر:7]؛

فهذه رابطة الإيمان بين الملائكة ومؤمني هذه الأمَّة، وقد تصل لدرجاتٍ أبعد، فقد تربط بين المؤمن والحيوان، والمؤمن والجماد، فهذا "سفينة" صاحب رسول اللهﷺ عائدٌ من بعض الغزوات، وإذا بالأسد على الطريق يمنع الناس من المرور، فشقَّ الطريق إليه وتقدَّم عنده وقال: أيها الأسد! إنِّي "سفينة" صاحب رسول الله ﷺ عزمت عليك لتفسحنَّ الطريق للناس يمرون، فإذا بالأسد يتنحى عن الطريق...!

ولدورها العظيم في تماسك بنيان المجتمع كان تحذير الله واضحًا جليًّا لكلِّ عملٍ يُوهِنُ الأُخُوَّة الإسلامية، فَحَرَّم التعالي والسخرية، كما حرَّم التعريض بالعيوب والتفاخر بالأنساب، وحرَّم كذلك الغيبة والنميمة وسوء الظنِّ؛ وهي من أسوأ عوامل هدم المجتمعات، وإذا ما حَدَثَ خصامٌ أو مهاجرة، فإنَّ الإسلام راح يُرَغِّبُ في كُلِّ ما يجمع القلوب ويدعم الوحدة؛ وذلك بالدعوة إلى الإصلاح بين المتخاصمين؛ حيث قال رسول الله ﷺ مُعَظِّمًا ومُرَغِّبًا في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وأحمد : (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟!) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ)

أي المخاصمة والمهاجرة بين اثنين هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصل الموس الشعر، ففساد ذات البين ثلمةٌ في الدِّين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجةً فوق ما يناله الصائم القائم.

بصراحة

لقاء خاصٌ مع مُضِلِ النَّاس(1)

بعد جُهْدٍ ومشقَّةٍ وطلباتٍ عديدةٍ تهيَّأ لي أن أجتمع بإبليس، ودون سلامٍ ولا ترحيبٍ قال:

ماذا تريد مني وما حاجتك من لقائي ويأتيني منك كلُّ يومٍ ما يؤذيني؟

قلت: لا شيء سوى بعض الأسئلة لعلي أنتفع.

قال: هات ما عندك، قلت ما شغلني شيءٌ شُغلِي بحالك مع جنوب دمشق، ولمَّا سمع جنوب دمشق انفرجت أساريره عن ابتسامةٍ صفراء، وقال: بنفسي وبروحي أفدي جنوب دمشق، فهم والله! كالكحل لعيني والطِّيب لجسدي، قلت: لأُمِّك الويل ولِمَ كلُّ هذا الثَّناء والإطراء والمديح، أما اتخذوك عدوَّاً وقد حذَّرهم ربُّهم من وساوسك وكيدك ومكرك؟

قال: هيهات هيهات، فأنا عندهم المستشار المؤتمن والناصح الأول، رأيي عندهم هو المقدم، ولا قرار فوق قراري، وظننت أنَّه يكذب _وهو الكذوب_ وعلمَ ذلك من دهشةٍ ظهرت على وجهي، فقال: لعلَّك لم تصدِّق ؟قلت: لا والله وكيف أصدِّق شيطاناً رجيماً؟

قال إذن دونك الأدلة وتحبُّ أن أبدأ بالظَّاهر منها أم بالباطن؟، قلت بما شئت وما أراك إلَّا كاذباً، قال: اسمع واحكم بعدها، قال: لعلَّك تعلم أنَّ نسبة المدخنين عندكم لا تقلُّ عن خمسين بالمئة من تعدادكم وأنَّهم ينفقون المال على قلَّته لينالوا حظوظ أنفسهم، قلت متأسفاً: أعلم، قال: هؤلاء قُرَّة عينٍ لي بما يفعلون، قال: ولعلَّك تعلم أنَّ نسبة المحششين عندكم تجارةً وتعاطياً ليست بالنِّسبة القليلة، مع علم كلِّ الفصائل بهم وسكوتها عنهم وعن تخريبهم لأخلاق الشباب ودينهم، قلت: أعلم، قال: وهؤلاء ما تعدُّهم بالنسبة لنا معشر الشياطين ؟ قلت: في صفِّكم وهم يعلمون أو لا يعلمون، قال: طيب!! والمتبرجات بأبي وأمي تلك الفتاة الفاتنة وهي تسلب الشباب عقولهم بلباسها الضيِّق وقدِّها المياس أتعدُّها مع الإسلام أم مع الشيطان؟ قلت محترق القلب: هي من جندكم الدَّاعين إلى الرذيلة، قال متبسماً: وما تعدُّ أماكن اللهو في منطقتكم حيث الفساد والإفساد، تعدُّها محسوبةً علينا أم عليكم؟ ورأى الحزن والأسى على وجهي فقال: على رسلك لمَّا تسمع عن جنودنا وأتباعنا معشار العشر!!، قلت: قاتلكم الله وماذا بقي للإسلام والمسلمين، قال: أعرني سمعك أحدثك عن أتباعٍ لنا وخدمٍ لمشروعنا وهم لا يشعرون، بل بظنِّهم أنَّهم للإسلام والمسلمين يخدمون. (يتبع)